

تقدير موقف

أزمة سد النهضة: فرض سياسة الأمر الواقع على مصر والسودان

هيا نبيل فاخوري

المقدمة

أعلنت إثيوبيا في شباط/ فبراير 2020 رفضها التوقيع على مسودة اتفاق نهائي لملء وتشغيل سد النهضة برعاية البنك الدولي في واشنطن، من خلال الاعتذار عن حضور جلسة المفاوضات الحاسمة، معللة ذلك برغبتها في إجراء مشاورات داخلية. في نيسان/ أبريل، ومن دون الاتفاق المسبق مع مصر والسودان، أعلنت إثيوبيا عزمها على بدء ملء خزان السد على مدى عامين، وهو ما رفضته مصر، وتقدمت بمذكرة لمجلس الأمن في هذا الصدد¹.

وفي 26 حزيران/ يونيو، وقبل عقد مجلس الأمن اجتماعه الخاص بشأن التوصل لاتفاق سياسي بشأن سد النهضة الإثيوبي، عقدت قمة شاركت فيها قيادات الدول الثلاث: مصر والسودان وإثيوبيا، وهم الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، ورئيسا وزراء السودان، عبد الله حمدوك، وإثيوبيا، آبي أحمد، فضلاً عن الرئيس الكيني، أوهورو كينياتا، والرئيس المالي، إبراهيم أبو بكر كيتا، ورئيس جمهورية الكونغو الديمقراطية، فيلكس تشيسيكيدى². وقد اتفق جميع الأطراف على استكمال التفاوض حتى يمكن توقيع اتفاق ملزم خلال أسبوعين، على أن تمتنع إثيوبيا عن ملء خزان السد لحين توقيع هذا الاتفاق.

إلا أن وزير الري الإثيوبي أعلن في 17 تموز/ يوليو ثم في 21 تموز/ يوليو أن بناء السد وملء الخزان يسيران جنباً إلى جنب، وأن ملء خزان السد لا يحتاج الانتظار لحين اكتمال بنائه³، الأمر الذي فتح الباب للحديث عن سياسة الأمر الواقع التي تطبقها إثيوبيا بشأن سد النهضة.

أزمة سد النهضة: جذورها التاريخية

¹ "بعد إعلان إثيوبيا بدء تشغيل سد النهضة.. ما هي خيارات مصر المتبقية"، *dw العربية*، 21/05/2020، شوهد في <https://www.dw.com/ar> :2020/07/03

² "الاتحاد الأفريقي يبشر بانفراجة تعيد مفاوضات سد النهضة لمسارها"، العين الإخبارية، 2020/06/27، شوهد في: <https://al-ain.com/article/1593203242> .2020/07/24

³ "سد النهضة: ما خيارات مصر والسودان بعد وصول المفاوضات لطريق مسدود؟" بي بي سي نيوز، 17 يوليو/ تموز 2020، شوهد في <https://www.bbc.com/arabic/interactivity-53445700> :24/07/2020

مشروع سد النهضة لم يكن وليد اللحظة، وإنما يعود إلى أربعينيات القرن العشرين، عندما قام مكتب الاستصلاح الأميركي بتحديد 26 موقعًا لإقامة سدود في إثيوبيا، كان على رأسها سد النهضة الحالي، بالإضافة إلى أربعة سدود على النيل الأزرق. عام 1964، عاد الأميركيون للاهتمام بسدود النيل الأزرق رافعين عددها إلى 34 سدًا⁴.

ومنذ عام 2011، ومستفيدة من انشغال مصر في ثورة كانون الثاني/يناير، أعلنت إثيوبيا بدء العمل على إنشاء سد النهضة، ولأسباب عدة، أهمها الحاجة إلى تحقيق التنمية نتيجة ما تعانيه من مشكلات مع المياه بسبب طبيعتها الجيولوجية والجغرافية، وصعوبة التضاريس التي تمنع نقل المياه لتخزينها، وضعف تكوين المياه الجوفية، هذا فضلاً عن أمور أخرى⁵.

قبل ذلك، تم تحديد الموقع النهائي لسد النهضة من خلال مكتب الولايات المتحدة للاستطلاع، وبين تشرين الأول/أكتوبر 2009، وآب/أغسطس 2010، قامت الحكومة الإثيوبية بعملية مسح للموقع، وفي 1 أيار/مايو 2010، أعلنت إثيوبيا عزمها في بناء سد يقلل من حصة مياه النيل لكل من مصر والسودان، من خلال مؤتمر صحفي عقده وزير المياه والطاقة الإثيوبي، أعلن فيه عن سعة السد التخزينية، التي تبلغ حوالي 60 مليار متر مكعب. وفي اليوم التالي، تم توقيع عقد تصميم وتنفيذ السد مع شركة ساليني الإيطالية، وبتكلفة 4.8 مليار دولار أميركي، أي نصف ميزانية إثيوبيا وقتذاك⁶.

في 2 نيسان/أبريل 2011، وضع رئيس وزراء إثيوبيا السابق، ملس زيناوي حجر الأساس للسد، وبعدها، أعلن مجلس الوزراء الإثيوبي تسمية السد بسد النهضة الإثيوبي الكبير⁷، الأمر الذي أثار حفيظة مصر، وسرع من وتيرة توتر العلاقات بين البلدين، ومنذ ذلك الحين، دخلت القاهرة والخرطوم وأديس أبابا في مفاوضات للاتفاق على كيفية الحد من تأثير السد الإثيوبي على كميات المياه المتدفقة إلى كل من السودان ومصر⁸.

منذ ذلك الحين، تحاول مصر والسودان التوصل مع إثيوبيا إلى اتفاق بشأن القضية الأكثر تأثيرًا على المشروع، وهي الوقت المخصص لملء وتشغيل خزان السد الضخم، فمصر تريد أن تكون مدة التعبئة بطيئة لدرجة تمنع أي نقص كبير في إمدادات المياه، بينما تريد إثيوبيا تسريع إمكانية

⁴ انتصار معاني علي، "الأبعاد الجيوليتيكية لبناء سد النهضة على دولتي المصب (مصر والسودان)"، "مجلة كلية التربية للبنات"، المجلد 28 (1) (2017م)، 284.

⁵ المرجع السابق، 284.

⁶ نفيصة دسوقي، "أزمة سد النهضة (1) .. الأسباب والتداعيات والبدائل"، أكتوبر 31، 2019، شوهد في: 04/07/2020 <http://aswatonline.com/2019>

⁷ اتفاق الخرطوم وضياح حقوق المصريين على أبواب سد النهضة، (القاهرة: مركز هردو، 2015)، 16.

⁸ حسين مجدوبي، "ماذا مصر عاجزة عن الحل العسكري لملف سد النهضة الإثيوبي؟"، صحيفة القدس العربي، 20- يونيو-2020، شوهد في: 03/07/2020 <https://www.alquds.co>

وصولها إلى مصدر جديد للطاقة ليؤهلها لتكون قادرة على إحداث ثورة تنموية في إمكاناتها. تقول إثيوبيا إن الكهرباء المتوقع توليدها من سد النهضة لها أهمية حيوية من أجل الدفع بمشاريع تنموية في البلد الفقير البالغ عدد سكانه أكثر من 100 مليون نسمة، لكن مصر تقول إن السد يهدد تدفق مياه النيل التي ينبع معظمها من النيل الأزرق حيث بني السد، وقد تكون تداعياته مدمرة على اقتصادها ومواردها المائية والغذائية. وتستقي مصر 97 في المئة من حاجتها من المياه من النيل⁹.

بالرغم من ذلك، أعلن رئيس الوزراء الإثيوبي، أبي أحمد في 22 تموز/ يوليو أن "بلاده أكملت المرحلة الأولى من ملء سد النهضة الذي أقامته على النيل الأزرق بالقرب من الحدود مع السودان، بتكلفة 4.6 مليار دولار، ويتوقع أن يكتمل العام المقبل"¹⁰. وأشار أحمد إلى أن عملية التعبئة الأولى لبحيرة السد تمت بفضل الأمطار الغزيرة، مؤكداً أن العملية تمت بنجاح دون أن يلحق الضرر بالآخرين، في إشارة إلى دولتي المصب الآخرين: مصر والسودان. كما أعلن أن بلاده ومصر والسودان توصلت إلى "تفاهم مشترك" من شأنه أن يمهد الطريق أمام التوصل لاتفاق¹¹.

مواقف الدول والمنظمات الإقليمية والدولية

جاءت مواقف الدول مبشرة حول هذه الأزمة، وعن الموقف الأميركي، قال السفير جوناثان كوهين، السفير الأميركي بالقاهرة، إن بلاده لا ترغب نهائياً في وصول أزمة سد النهضة للملء الأحادي، قائلاً: "نحن نتمنى ألا نصل إلى هذا"، مضيفاً "إن لجوء مصر لمجلس الأمن لعرض أزمة سد النهضة، كان خطوة صحيحة، لافتاً إلى أن الولايات المتحدة تدعم التوصل لاتفاق يأخذ في عين الاعتبار احتياجات ومصالح الدول الثلاث، وهذا في حد ذاته هام جداً". كما أكد "أن أميركا تتابع المفاوضات، وستكون جاهزة في دعم المفاوضات إذا احتاج الأمر، خاصة أنها مراقب، وأكدت على موقفها الثابت من سد النهضة، وهو الحفاظ على موقف دعم البلدان الثلاث، لا سيما أن نهر النيل ذو أهمية كبيرة لهم"¹².

كما أصدر الاتحاد الأوروبي بياناً شدد فيه على أن "حل الخلاف مهم للاستقرار في كل المنطقة". وأضاف البيان أن نائب رئيس المفوضية الأوروبية، مفوض شؤونها الخارجية، جوزيف بوريل، تواصل خلال الأسابيع الماضية مع كل الأطراف، وشجعها على "تجنب الاستقطاب المتزايد".

⁹ طارق عرار، "جهود الاتحاد الأفريقي لحل أزمة سد النهضة تحظى بدعم في مجلس الأمن"، فرانس 24 2020/06/30، شوهد في: 2020/7/2 <https://www.france24.com>

¹⁰ "القلق يتصاعد في مصر... إثيوبيا: سد النهضة غير التاريخ والجغرافيا السياسية بالمنطقة"، شبكة الجزيرة الإعلامية 2020/07/24، شوهد في: 24/07/2020 <https://www.aljazeera.net/news/politics>

¹¹ المرجع نفسه.

¹² "أميركا تعلن موقفها من أزمة سد النهضة"، يوليو 6، 2020. شوهد في: 07/07/2020 <https://elmohafezeen.co>

وذكر البيان أن بوريل شدد على أهمية تجنب أي تصعيد آخر، وإيجاد حل عاجل ومفيد يحقق مصالح الأطراف كلها¹³.

وعن **الموقف الصيني**، أعلنت الخارجية الإثيوبية عن اتصال هاتفي تم بين وزير خارجية إثيوبيا، جيدو اندرغاشيو، مع نظيره الصيني، وانغ يي، أكد فيه دعم بلاده لحل أزمة سد النهضة عن طريق الحوار بين إثيوبيا ومصر والسودان في أقرب وقت ممكن، والتأكيد على حل المسألة من خلال الاتحاد الأفريقي¹⁴.

وفيما يتعلق بموقف **الاتحاد الأفريقي**، قال رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي موسى فكي إنّه من "الضرورة القصوى" أن تتوصل مصر وإثيوبيا والسودان "لاتفاق يحفظ مصالح كافة الأطراف"¹⁵. وقام الاتحاد الأفريقي بدعوة كل من مصر والسودان وإثيوبيا إلى العمل على وجه السرعة لوضع اللمسات الأخيرة على نص اتفاق ملزم بشأن ملء وتشغيل سد النهضة¹⁶.

من خلال التصريحات السابقة، بدا أن هناك العديد من الدول والمنظمات كانت تسعى من أجل إيجاد حل عادل بين أطراف الأزمة، ولكن إصرار إثيوبيا وتعنتها حول ملء وتشغيل السد، وضع جميع المواقف الدولية أمام أزمة حقيقية، ما يعني إجبار إثيوبيا لمصر والسودان على قبول سياسة الأمر الواقع، والتأقلم مع انخفاض منسوب مياه النيل الذي ستحصل عليه ابتداء من الشهور المقبلة.

التداعيات المتوقعة لسياسة الأمر الواقع الإثيوبية على مصر

بدا أن التداعيات على مصر ستكون أكثر من التداعيات على السودان، لا سيما أنه إذا تم ملء خزان سد النهضة خلال عشر سنوات، فإن العجز المائي لمصر سيزداد بمعدل 8 مليارات متر مكعب سنويًا، أي ما يقارب 14 في المئة من الموازنة المائية الإجمالية السنوية لمصر، ما قد يؤدي في حالة عدم تغيير طرق الري إلى بوار وتصحر قرابة مليوني فدان (نحو 8 آلاف و35

¹³ African Union: High Representative/ Vice-President Josep Borrell speaks to Commissioner of the African Union Peace and Security Commission Smail Chergui, European union, 28/05/2020, seen in 07/07/2020. <https://eeas.europa.eu>

¹⁴ "بعد اتصالات مع مصر وإثيوبيا.. الصين تعلن موقفها من أزمة سد النهضة"، 29/06/2020، شوهد في: 07/07/2020، <https://arabic.sputniknews>.

¹⁵ "رغم التفاهم الثلاثي.. إثيوبيا تتحدث عن ملء جزئي لسد النهضة"، dw، 21/07/2020، شوهد في: 24/07/2020. <https://www.dw.com/ar>

¹⁶ المرجع السابق.

كيلومترًا مربعًا)، أي 18 في المئة من مساحة مصر الزراعية، وهو ما يعني فقدان 6 في المئة من إجمالي القوى العاملة، وارتفاع معدلات البطالة بنسبة 17 في المئة إضافية¹⁷.

أما إذا كانت المدة سبع سنوات، فسيزيد العجز المائي في مصر بمعدل 12 مليار متر مكعب سنويًا، أي 22 في المئة من إجمالي موازنة مصر الإجمالية السنوية من المياه، وبالتالي فقدان نحو 3 ملايين فدان (نحو 12 ألفًا و140 كيلومترًا مربعًا)، أي 30 في المئة من المساحة الزراعية لمصر، وهو ما يعني فقدان 9 في المئة من إجمالي القوى العاملة كحد أدنى، وارتفاع معدلات البطالة بنسبة 20 في المئة إضافية، ما سيؤدي إلى مضاعفات اقتصادية واجتماعية خطيرة¹⁸.

لكن بالنسبة لمصر، فإن السيناريو الأخطر، هو ملء السد خلال ثلاث سنوات، ما ستكون له عواقب وخيمة خلال هذه المدة القصيرة، إذ ستفقد مصر نحو 27 مليار متر مكعب من المياه، أي 50 في المئة من إجمالي موازنتها المائية السنوية، وستفقد إثر ذلك 6.75 مليون فدان (20 ألفًا و234 كيلومترًا مربعًا)، أي 67 في المئة من مساحتها الزراعية تقريبًا. وبالتالي فقدان 21 في المئة من إجمالي القوى العاملة على الأقل، وارتفاع معدلات البطالة في البلاد بنسبة 34 في المئة كحد أدنى، بالإضافة إلى مخاطر أخرى اجتماعية واقتصادية خطيرة مثل ارتفاع معدلات الجريمة وزيادة احتمالات النزوح والهجرة غير النظامية¹⁹.

الخاتمة

استطاعت إثيوبيا فرض سياسة الأمر الواقع من خلال البداية في عملية ملء السد، ضاربة عرض الحائط جميع الاتفاقات والقوانين الدولية، وهو ما قد يدفع الرئيس المصري السيسي إلى اتخاذ ما يلزم من إجراءات لحماية وإثبات حقوق مصر ومكتسباتها التاريخية في مياه نهر النيل. كما أن فشل الدول والمنظمات الدولية، لا سيما الاتحاد الأفريقي في الوصول إلى حل للأزمة، وضع الدول أمام أزمة حقيقية، ولكن القوى الدولية لن تسمح على الأقل بتدهور الأوضاع في حوض النيل، الأمر الذي يؤثر على الاستقرار الأمني والاستثمارات في الإقليم. كما أن التوجه إلى اتخاذ إجراءات قسرية عسكرية وغيرها سيعرض عشرات الملايين من المدنيين للخطر، ويهدد طريق التجارة الدولية الحيوية عبر قناة السويس وعلى طول القرن الأفريقي.

¹⁷ عبد الرحمن أبو الغيط، "مفاوضات متعثرة ونذر حرب بين مصر وإثيوبيا.. 7 أسئلة رئيسية في أزمة سد النهضة"، شبكة الجزيرة الإعلامية، 16/06/2020، شوهد في 30/06/2020:

<https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/6/16/%D8%A7%D8%A7-7>

¹⁸ المرجع نفسه.

¹⁹ المرجع نفسه.